محمّد سعيد القشاط

القرضابيّة

٢٨ - ٢٩ أبريل ١٩١٥

الإهداء

إلى أبنائي

عبد القادر

سامي

منى

سيف

زهير

هند

ليطلعوا على صفحة من صفحات اجدادهم المشرقة .

محمّد سعيد القشاط

محمّد سعيد القشاط

محمد سعيد القشاط

مدونة
بني وليد
القرضابيّة

٢٨ - ٢٩ ابريل ١٩١٥

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

بعد ستين سنة من معركة القرضابية قررنا إعداد قافلة صحفية تتكون من مجموعة من السيارات تتبع مسيرة الحملة التي شكلها العقيد مياني ليمحو بها جراح هزيمته التي لحقت به في فزان بقلعة القاهرة على يد المجاهدين في نوفمبر ١٩١٤ .

وقد كان لي شرف رئاسة القافلة الصحفية التي انطلقت من طرابلس إلى ترهونه ، فبني وليد ، فالمسلات بوادي المردوم ، فبئر بن عيزار ، فالسداده . ثم إلى القداحية ، وبعدها أخـذنا الطريق الساحلي إلى سرت ثم إلى قصر بو هـادي .

وكان يرافقنا مجموعة من المجاهدين الذين كانوا مع أحمد سيف النصر ، كما كان يرافقنا أيضاً مجموعة من الشيوخ الذين ساروا مع حملة مياني كمجندين مع الطليان .

ثم بعد ذلك عـدنا إلى مصراته وزليطن ، ومسلاته . والتقينا في جميع المناطق بمن بقي من الأحياء من الذين حضروا القرضابية . ولقد كانت المعلومات من الدقة لدرجة جعلتنا حيارى أمام شدة حفيظة هؤلاء الرجال رغم طول الزمن الفاصل بين الحادثة وحديثنا عنها ، لدرجة أن في وادي المردوم — وفيه حدثت أول مناوشات أحمد سيف النصر بالايطاليين — وقف الحاج الاسطى جمعة ابن سليم ، وهو من ترهونه وكان مرافقاً لحملة مياني ، ينعت لنا كوماً من الأحجار ، قال ان المجاهدين كان بعضهم تحت هذه الأحجار وقد وجدنا

أوراق الشاي منكبّة منهم في هذا الموقع – فصادقه الشيخ حسن الطبولي ، الذي أوضح أنه فعلاً كان في هذا الموقع مجموعة من المجاهدين (ربع) يطبخون الشاي ، ولما أدركتهم القوات الايطالية كبّوا الشاي وقاموا عنه .

ولقد التقينا في رحلتنا بمجموعات من ترهونه ، وبني وليد ، والطبول ، ومعدان ، والفرجان ، والقذاذفة ، والمغاربة ، وأولاد سليمان ، والعمايم ، ومصراته ، وزليطن ، والخمس الزوائد ، ومسلاته . وكل من هؤلاء حدّثنا عن الجانب الذي هو فيه . وبعد اطلاعنا على الوثائق الايطالية تبيّن لنا أن جميع ما رواه المواطنون في مختلف مواقعهم ما هو إلاّ كلوحة مقطعة استطعنا بفضل الله وحمده أن نجمعها ونلصقها ، فإذا بها كما كانت لا يعيبها شيء .

ولقد استمرّت رحلتنا قرابة الأسبوع جعلتنا نعيش ظروف المعركة وكأننا بعض شهودها .

ويصحّ لي في هذه المقدمة القصيرة أن أشكر جميع المواطنين في المناطق المذكورة التي مررنا بها لحسن ضيافتهم ومساعدتهم لنا . وأخصّ منهم المسؤولين في المركز الثقافي بمصراته ، والمركز الثقافي بزليطن ، ومحمد بوعزوم وفرج محمد سعد عطية من مراقبة تعليم بني وليد الذي رافقنا من بني وليد إلى القداحية كدليلين للرحلة .

كما أشكر الدكتور ابراهيم المنتصر الترهوني الذي تطوّع بمرافقة الرحلة وأشرف على تمريض الشيوخ الذين رافقونا . ولقد كان جده المبروك المنتصر الترهوني أحد أركان هذه المعركة .

كما أشكر زملائي الصحفيين علي عبد اللطيف ، ومصباح الفقهي ، اللذين تعبا في تفريغ أشرطة الرحلة . وكذلك المصوّر جابر قدوره .

وأخيراً أشكر سائقنا أبو صاع أحمد ، وقد كان رفيقنا في كل الرحلات التي خصّصناها لجمع التاريخ الوطني .

وفي النهاية أخصّص فائق شكري وتقديري للشيوخ الذين رافقونا رغم كبر سنهم وشرحوا لنا مواقع الحادثة كما حدثت ، ومنهم من نطلب له الرحمة والغفران فلقد سبقنا إلى الدار الآخرة ، ومنهم من نطلب له طول العمر والهناء .

محمد سعيد القشاط



الفصل الأول

التجميع للمعركة وأسبابه

مدونة
بني وليد

يقول الأستاذ خليفة التليسي في كتابه « معجم معارك الجهاد في ليبيا » عن موقعة القرضابية ما يلي :

« يرتبط واقع هذه المعركة الهامة ، بالفشل الذريع والإخفاق الكبير اللذين انتهت إليهما حملة الكولونيل مياني على فزان ، نتيجة للمقاومة التي قادها وأشعلها المجاهد الورع محمد بن عبد الله اليوسفي ، الذي تصدّى لحملة مياني في معارك الشب واشكده ومحروقه ، التي استشهد فيها . خاتماً بذلك سلسلة طويلة من المواقف الوطنية الصادقة التي رفضت الاستسلام والقبول بالصلح ، وأعلنت الاستمرار في الكفاح والنضال ضد القوات المعتدية .

ومن المعروف أن هذا المجاهد قد تحوّل ببعض رجاله إلى الجنوب بعد أن شارك في معركة (الاصابعه) رافضاً الاستسلام والدخول في المساومات السياسية ، فتصدّى لحملة مياني ، واستطاع أن يثير في وجهها ، مقاومة ظلت مستمرة ، حتى بعد استشهاده في محروقه ، وأدت إلى قطع الطريق ، على هذه الحملة ، وانتهائها إلى الفشل التام ، والانسحاب الكامل من الدواخل ، خاصة في مناطق الجفرة وفزان ، عند نهاية ١٩١٤ وبداية ١٩١٥ .

وإزاء هذا المد الثوري العنيف الذي هزّ أركان الوجود الاستعماري في تلك المناطق ، وفشل تلك الحملة التي حاول بها مياني ، أن يعيد أمجاد القائد الروماني (كورنيليو باليو) حاولت الحكومة المركزية ، وحكومة الولاية ، العمل على الاحتفاظ بالمواقع المحتلة ، والتمسك بها ، وأعدت حملتين

كبيرتين للقيام بعمليات تطهيرية في القبلة ومنطقة سرت ، وقد انتهت الحملة الأولى إلى الهزيمة التي أصيبت بها القوات الايطالية في (وادي مرسيط وخرمة الخدامية) (٧ أبريل ١٩١٥) وهي المعركة التي سجّلت بداية الهزيمة التي ختمت فصولها في القرضابية » .

أعدّت إيطاليا في الواقع ثلاث حملات لإعادة احتلال فزان :

الحملة الأولى خرجت من جادو وجميعها من المجنّدين العرب بقيادة علي العائب ، ومسعود فكيني ، وأحمد الصيد ، وسليمان بن سعيد وعمر عبازة ، وتوجّهت نحو غدامس حيث التقت بالمجاهدين في (وادي امجزم) وتبادلوا إطلاق الرصاص ثم وصلت إلى غدامس وقطع المجاهدون عليها خط الرجعة باحتلالهم لسيناون . ففرّت الحامية متوجهة إلى الأراضي التونسية حيث احتمت بالفرنسيين ليضمنوا لها عودتها إلى طرابلس .

والحملة الثانية أيضاً غالبيتها من المجندين العرب برئاسة راسم كعبار ، فالتقت بالمجاهدين في وادي مرسيط ، فانتصروا عليها وحطموها يوم ٧ أبريل ١٩١٥ .

والحملة الثالثة أيضاً جُمع لها العرب من مختلف المناطق ، وقد كُلِّف أعيان المناطق برئاسة المجموعات التي يجمعونها من مناطقهم . وسلمت لهم الأسلحة ورواتب جندهم لتوزيعها على المجندين . وهذه الحملة هي محل بحثنا هذا .

كيف تشكّلت الحملة ؟

كلّف الايطاليون زعماء المناطق أو أعيانها بتجنيد الناس ، وتوزيع السلاح والرواتب عليهم .

ففي بني وليد كلّف عبد النبي بالخير . وفي ترهونة كلّف الساعدي بن سلطان على ربع الحواتم والمبروك المنتصر الترهوني على ربع الحمادات ، وأحمد عبد الرحمن على ربع اولاد امسلم وكلّف في مصراته رمضان السويحلي وفي مسلاته محمد القاضي وفي زليطن محمود عزيز وفي قماطه محمد

ابن مسعود وكلّف عمر العوراني عن الساحل الخمس ؛ وكانت كل مجموعة تحت رئيسها .

تجميع الحملة :

أخبرني الشيخ حسن الطبولي من جماعة الطبول ببني وليد ، وكان ممن حضر المعركة مع أحمد سيف النصر ، قال :

« أعطي عبد النبي بالخير ألف بندقية ، ليوزّعها على المواطنين الذاهبين في الحملة . فكان يوزّع على الناس السلاح بدون قيد حتى أن الشخص كان يعطيه بندقيتين وثلاث ويقول له أمام الطليان : أعطها لاخوتك ، والرجل لا اخوة له .

كما أرسل لجماعة الطبول (٣٨) ثمانية وثلاثين بندقية بذخائرها وهي عماد سلاح أحمد سيف النصر » .

وتجمّع المجندون من قماطه ومسلاته والخمس ومصراته ، بمصراته . كما كان معهم أيضاً الايطاليون (الجنود النظاميون) .

وتجمّع أهالي ترهونه وبني وليد في بني وليد (مدينة بن تليس) ومعهم الأحباش (الارتريون) .

أحمد سيف النصر :

قدم في هذه الأثناء من الشرق أحمد سيف النصر في خمسة أو ستة أشخاص يحثّ الناس على الجهاد ، ووصل إلى جماعة الطبول ، وكان شيخهم (الشيخ عبد السلام الطبولي) صديقاً لعبد النبي بالخير . فارسل إليه رسالة يخبره فيها بمقدم أحمد سيف النصر إليهم وما هو المطلوب نحوه .

فردّ عليه عبد النبي بالخير رسالة يقول له فيها : « أحسنوا وفادة أحمد سيف النصر وانضموا للمجاهدين واكتموا السر » . فانضموا إليه وخاضوا معه معركة بو نجيم ، حيث اصطدموا بكتيبة من المهارى (الهجانة) الطليان كانت تحاول الانسحاب للجنوب ، وقد غنموا منها مجموعة من الإبل .

ولما تحركت الباندة من بني وليد كان أحمد سيف النصر يطارحها من الجنوب بمن معه من الطبول وجماعة ورفالله وبعض أولاد سليمان ، حتى نزل (بالخطوه) .

تحرك الحملة :

تحركت المجموعات المتجمعة في مصراته وعلى رأسها قائد الحملة (العقيد مياني) لنقطة التجمع في بئر بن عيزار . وفي بني وليد تجمعت ترهونه وبني وليد والفرق الارترية في مدينة (بن تليس) .

ويروي لنا الحاج الاسطى جمعة بن سليم ، الذي كان برفقة الحملة ، قـال :

« قبل تحرك (الباندة) في الصباح من مدينة (بن تليس) وقف الضابط الايطالي المسؤول عنا جميعاً يخطب في المجندين وبجانبه (القاضي أحمـد الراجحي) يترجم لنا ما جاء في خطبته الطويلة التي كان منها (يجب أن تدافعوا عن حريمكم وأولادكم وأرزاقكم من (الفلاقة) ، والذي يموت منكم أعطيـه (برميستو للجنة) إذن بدخول الجنة » . وأصبحت حكاية الإذن بدخول الجنة من النوادر التي يتندر بها العرب في الحملة .

ويقول الشيخ حسن الطبولي ، المرافق لأحمد سيف النصر :

« عندما تحركت الحملة من بني وليد أرسل لنا عبد النبي بالخير رسالة يعلمنا فيها بتحرك الحملة وان نأخذ حذرنا ونحن موجودين بالخطوة » .

فتحرك أحمد سيف النصر لملاقاتها ووصل إلى (زوية بوادي المردوم) حيث بات المجاهدون هناك .

أما الحملة القادمة من بني وليد فباتت (بالمسلات) وهي مدافن ترابية قديمة تبعد حوالي ثماني كيلومترات على (زوية) .

اصطدام طفيف :

ويقول الحاج الاسطى جمعة بن سليم :

« في الصباح شاهدنا على المرتفع المقابل لنا ثلاثة خيالات تبيّناها فإذا هي خيول استكشاف للمجاهدين » .

ويقول الشيخ حسن الطبولي ، والذي كان مع أحمد سيف النصر :

« لقد أرسلنا ثلاثة فرسان للاستكشاف فأخبرونا برؤيتهم لتحرك الBانده ، فأخذنا احتياطنا وانتظرناها ..

وما أن وصل أوّلها على مسافة إطلاق بنادقنا حتى أطلقنا عليها الرصاص . وأمطرتنا بنيران كثيفة فسقطت منا فرس ورأيناهم وقد تجمّع بعضهم ، وأظن أننا أصبنا منهم ، وانسحبنا » .

ويقول الحاج الاسطى جمعة بن سليم ، والذي كان مع البانده :

« فعلاً وجدنا الفرس المقتولة . وقتل لنا شخص من ترهونة يدعي (أحمد رجب المرغني) هو الذي تجمّعنا عليه . فلقد ظنناه في الأول مجاهداً ، وقمنا نحفر له قبراً ، ولما كشفنا عن وجهه عرفناه أحد أفراد البانده . فتركناه لأبناء عمه معنا وقلنا « لقد أخذ برميستو للجنة » . وسارت الحملة باتجاه الشرق نحو (بئر بن عيزار) .

الفصل الثاني

التجمّع والإنطلاق

على بئر بن عيزار :

كانت الحملة القادمة من مصراته قد سبقت على بئر بن عيزار . وفي اليوم الثاني وصل القسم القادم من بني وليد . ولما اقترب من البئر ظنّ أن القوم الذين يحتلون البئر هم من المجاهدين . كما ظنّ القسم الموجود على البئر أن القادمين إليه هم من المجاهدين . فوقع تبادل إطلاق النار بطريق الخطأ بين الطرفين وتمكّن الضباط الايطاليون من إيقافه دون خسائر .

وعلى بئر بن عيزار اجتمعت القوات الايطالية جميعها . ويقول الأستاذ خليفة التليسي في كتابه (معجم معارك الجهاد في ليبيا) : « إن عدد الجيش الايطالي ٨٤ ضابطاً و ٩٠٠ جندي ايطالي (القناصة) أو كما يسمونهم في ليبيا (عسكر بو ريشة) و ٢٠٨٩ جندي ارتري ، و ٣٠٠٠ من رجال المحلات ، و ٢٥٠ فارساً من السواري ، و ٢٠٠٠ جمل للتموين ، و ١٢ قطعة مدفعية » . أما الشيخ الطاهر الزاوي في كتابه (جهاد الأبطال) فيقول : « ان الجيش يتألَّف من ١٤٠٠٠ أربعة عشر ألف جندي » ، ولم يذكر الشيخ الطاهر الزاوي المصدر الذي استقى منه هذا العدد .

وأنا أرجّح الرقم الذي ذكره الأستاذ خليفة التليسي ، لأنه مستقى من المصادر الايطالية ووثائقهم الرسمية .

وحتى المجاهدين الذين غنموا المدافع فيما بعد ذكروا أنها ١١ قطعة ، أما الأشخاص الذين رافقوا الحملة الايطالية وساروا ضمنها ، ومنهم الحاج

الاسطى جمعة بن سليم ، فإنهم يقدّرون القوات الايطالية بحوالي (٩٠٠٠) تسعة آلاف جنـــدي ، وهو تقدير أقرب إلى وثائق الايطاليين إن لم يكن مطابقاً لها .

وقد أقامت الحملة على البئر ثلاثة أيام للراحة والتزوّد بالمياه . وكان في هذه الأثناء أحمد سيف النصر ومن معه من المجاهدين يرابضون بـ (الخطوه) ومجموعهم حوالي (٤٠٠) مجاهد على بعـــد عشرة كيلومترات شرقي بئر بن عـــيزار .

الشيخ سوف المحمودي :

وعند اندلاع الحرب العالمية الثانية أرسلت تركيا الشيخ سوف المحمودي لإشعال الحرب في (طرابلس الغرب) ، وخرج متخفياً من مصر ، ووصل إلى الجغبوب ، حيث عيّنه أحمد الشريف نائباً للوالي في طرابلس الغرب ، واتجه منه إلى الغرب وكان يرسل الرسائل لأصدقائه من كبار المجاهدين يحثهم على الجهاد .

ووصل إلى أحمد سيف النصر بـ (الخطوه) . ويقول الشيخ حسن الطبولي :

« فرحنا به كثيراً ، وكان يحدّثنا عن الجهاد والنصر المرتقب ، وتقوّت به عزائمنا واعتبرناه نصرة من الله أمدّها لنا » .

الاتفـــاق السرّي :

اجتمع الرؤساء المرافقون (للبانده) في (بئر بن عيزار) وهم : عبد النبي بالخير ، المبروك المنتصر الترهوني ، رمضان السويحلي .

واتفقوا على أن يرجع عبد النبي بالخير إلى ورفلله ، حيث ترك ٢٠٠ مسلّح بشميخ لم يضمّهم للبانده لمحاصرة بني وليد عند انكسار الحملة .

كما بيّتوا النية على انقلاب الليبيين على الايطاليين في داخل (البانده) عند اشتباك المعركة .

وأرسلوا بفحوى هذا الاتفاق رسالة إلى أحمد سيف النصر كلّفوا بها ، على حدّ قول حسن الطبولي ، (عمر بو دبوس ، وقليصه — لم يتذكّر إن كان التهامي أو غيره — وشخص ثالث). وما إن وصلت الرسالة ليلاً إلى أحمد سيف النصر حتى تجمّع المجاهدون حول (الفقيه سي محفوظ) الذي قرأها سراً ثم شرع يتلوها عليهم .

وقد جاء في الرسالة التي حضر تلاوتها الشيخ حسن الطبولي صاحب الرواية :

« كونوا تريس .. ولموا بعضكم .. وعدوا ورفلله اللي احذاكم وهاتوهم ، وإذا كان صار الحرب انا انساعدوكم » .

وفهم أحمد سيف النصر ومن كان معه أن الجماعة سيساعدونهم على الايطاليين ، ورجع الفرسان الثلاثة ليلاً ولم يتخلّفوا حتى لشرب الشاي حرصاً منهم أن يكونوا في الصباح بالحملة حتى لا يفتقدهم الايطاليون .

معركة على الماء :

في اليوم الثالث رحلت الحملة من بئر بن عيزار متجهة إلى (السداده) (بوادي نفد) . وعلى آبارها الضحلة القليلة المياه اختصم العرب والارتريين . وتشابكوا بالأيدي . وتجالدوا بالعصي والحبال . وكادت أن تتطوّر إلى معركة بالسلاح لولا أن سمع رمضان السويحلي بالأمر وأقبل يعدو بجواده ، وأمر العرب أن يتركوا الآبار للارتريين وحدهم . وأرسل العرب إبلهم وقربهم إلى آبار أخرى ليست بالبعيدة حيث جلبوا المياه .

وعندما وصلت الحملة إلى (القدّاحيه) لحق بها رجل يحمل رسالة حاول الجنود إيقافه فأخبرهم أنه يحمل رسالة إلى عبد النبي بالخير . ولما سلّمها له بادر بتسليمها إلى العقيد مياني وطلب منه الإذن له بالعودة إلى بني وليد . إذ أن الرسالة مرسلة من شخص حجالي يخبر عبد النبي بأن الثوار استاقوا إبلين من ورفلله .

ويقول الشيخ حسن الطبولي ، الذي حدّثه عبد النبي بعدها مشافهة عن هذا الموضوع : انه ، أي عبد النبي ، كتب رسالة لنفسه وسلمها إلى أحد

المجندين من أهالي ورفلله وطلب منه في الصباح أن يلتحق بالحملة ويسلمه الرسالة . ولهذا عندما سلّم عبد النبي الرسالة إلى (مياني) وهي مقفلة كان يعلم ما بداخلها . وان الشخص الذي حمل الرسالة ورفللي يدعى (حفتر) .

(القـدّاحيـة) :

نزلت الحملة بالقداحية ، وهناك أذن العقيد مياني إلى عبد النبي بالخير بالرجوع ومعه ٤٠٠ من ورفلله ، وهي خطة بارعة لعبد النبي بالخير أنقصت هذا العدد من حملة معادية أفادت المجاهدين حتى ولو لم يكن هناك اتفاق على الانقلاب لو قدرنا ذلك :

برقية مياني إلى طرابلس

ومن القداحية بعد عودة عبد النبي بالخير أبرق (العقيد مياني) إلى الوالي في طرابلس بالتقرير التالي :

حكومة طرابلس الغرب
أركان الحرب
نسخة من برقية في طريق الوصول

المصـــدر : القـداحية
تاريخ التقديم : ١٧ أبريل ١٩١٥ الساعة ٢٢،٣٠
تاريخ الوصول : ١٨ أبريل ١٩١٥ الساعة ١٠،٤٥

سري جداً — شخصي :

إلحاقاً إلى برقيتي رقم ٨٠ — مخبرون تم إيفادهم للتعرُّف على معسكر الثوار بالجبل بأعالي زمزم أبلغوني بأن أحمد سيف النصر الذي اتحد مع الشيخ سوف يوجد عند آبار الغرّانيّة (انظر الخريطة : ٤٠٠٠٠٠) ويؤكدون أيضاً أن الشيخ سوف يوجد معسكره بمحلة بوسيف والمشاشيه ، ولكنهم لم يروا ذلك

بأنفسهم – إن قلة المياه في تلك الآبار يجعل من المستبعد أن يكون معسكر الثوار كثير العدد. الشيخ سوف سلّم إليّ مخبر طرد كبير يحتوي على رسائله ورسائل كل من أحمد الشريف وصفي الدين والباروني، قصد توصيلها إلى رؤساء الفرق الوطنيـــة الملتحقين بمعسكري. رسائل السنوسي الكبير أحمد الشريف كلها محرّرة في السلوم وتحمل تاريخ ١٩ محرم ١٣٣٣، وتتضمن ما يلي: على جميع القبائل التمرد وتكوين معسكرات مسلحة. ويعلن لهم عن ايفاد البمباشي الشيخ سوف مع ضباط يتعين طاعتهم والامتثال لأوامرهم. الشيخ سوف سيتوجه لفتح طرابلس الغرب. أثناء ذلك ينتظر احمد الشريف في السلوم تنظيم القوات ويعد بالوصول في أقرب وقت، وقد تناول أخوه صفي الدين، في رسائله المحرّرة في اجدابيا بتاريخ ٧ ربيع الثاني نفس الموضوع ويوصي بطاعة الشيخ سوف. كما يعلن عن انتصارات كبيرة أحرزها السنوسيون في بنغازي، اجدابيا، سوكنه، فزان، فالوت، التي تم تحريرها بفضـــل انتصاراتهم. الشيخ سوف يذكر في إحدى رسائله بأنه قد وصل من حلب الى مصر المحتلة حالياً من الأتراك. وقد قام هؤلاء بإرسال جنود وأسلحة وذخيرة إلى ليبيا، وفي غضون ذلك سيصـــل مع ضباط لقيادتهم وتولي شؤونهم، ويدعوهم إلى التمرد وتكوين معسكرات مسلحة.

سليمان الباروني قد وصل إلى السلوم يوم ٢٥ محرم، ويوجـــد بجوار السنوسي الكبير، ويوصي بطاعة الشيخ سوف. وبالنسبة لعبد النبي بالخير اتخذت إجراءات خاصة.. وتهديدات من السنوسي الكبير ومن الشيخ سوف رسالة أخرى مؤرّخة ١ جماد الثاني من الشيخ سوف وأحمـــد سيف النصر موجّهة إلى كل من عبد النبي بالخير (ورفلله) والشيخ رمضان (مصراته) والشيخ الساعدي (ترهونه) جاء فيها علمهما بأخذهم للسلاح والإلتحاق بالحكومة قصد مهاجمتها في الوقت المناسب، وان هذا سرّهم جداً، وطلبا منهم أن يؤكّدوا لهما ذلك. وأعلنا عن استعدادهما لمساعدتهم وشد أزرهم. أما إذا كانوا ينوون البقاء على إخلاصهم للحكومة والقتال إلى جانبها ضـــد الحكومة السنوسية، فإنهما سيقاتلونهم. ولكنهما يذكّرانهم بفداحة الألم والأسى الذي سيعانونه خلال المدة التي تمرّ على إخلاصهم من جرّاء الخسائر والضربات الموجعة التي سيتكبّدونها. ويعبران عن ثقتهما في انهم لا يرغبون ولا ينوون البقاء

متحدين مرتبطين بالحكومة التي ستجلب لهم تلك الخسائر والضربات .

صباح هذا اليوم عقدت مجلساً مع رؤساء الفرق الوطنية التابعين لي وتقرر الزحف صباح ١٩ تجاه منطقة سرت . بعد وصول الرسالة جمعت رؤساء الفرق الوطنية وأبلغتهم بالرسالة التي قام عبد النبي باي بكل أمانة بتسليمها إليّ ، وهي ما زالت مغلقة . رؤساء الفرق جدّدوا لي تأكيداتهم الرسمية بعزمهم ورغبتهم في البقاء مخلصين وملتفّين حول الحكومة من أجل الدفاع عن بلدانهم وعائلاتهم وممتلكاتهم ، معلنين عن استعدادهم باتباعي والسير ورائي حيثما أمرتهم . وعلى الأخص الهجوم على قصر بو هادي من أجل تشتيت المسلحين والمقر الرئيسي المحلي للحكومة السنوسية . وتقدّموا برجاء واحد فقط وهو ان تتدبر الحكومة أمر الدفاع عن بلدانهم خلال فترة غيابهم . وكل ذلك يتعلّق حسب رأيهم بتوفير الهدوء في منطقة (ورفلله) . لذلك في الوقت الذي يرجونني فيه الموافقة على إيفاد عبد النبي باي مع البعض من فرقته إلى ورفلله (بني وليد) لقيادة القبائل هناك يرجون من الحكومة أن تعمل على زيادة عدد القوات الموجودة حالياً في بني وليد ، وذلك بإرسال القوات المتواجدة حالياً في ترهونه ، أي حوالي ألف بندقية ومدفعين إليها مع عدم الإخلال من حيث إرسال قوات من طرابلس إلى ترهونه كلما تطلبت الحاجة والضرورة ذلك . وحيث إني متأكد من أن قواتي كافية للقيام بهجوم على قصر بوهادي بمشاركة حامية سرت ، استجبت إلى إيفاد عبد النبي باي إلى بني وليد مصحوباً بأربعمائة رجل ، مستبقياً معي مائة رجل يمثلون مختلف القبائل . أرجو الحكومة أن تستجيب لطلب إيفاد قوات إلى بني وليد ، بالإضافة إلى تعزيز حاميتيّ غريان ومزده ، حيث أن رسائل السنوسيين كانت موجهة بصفة عامة إلى جميع بقية بلدان طرابلس الغرب الجبلية والساحلية الغربية منها على حد سواء . ولا يمكن استبعاد التحركات حتى وإن كانت لا تبدو جاهزة للعمل . وفي غضون ذلك وبينما قواتي تتوجّه نحو منطقة سرت ، حيث انه من غير الملائم لها أن تتيه في ملاحقة مجموعة صغيرة تحاول الفرار نحو الجنوب في الصحراء القاحلة ، وبدون أمل في الحصول على نتائج محدّدة ، التي بالعكس يمكن أن يتحصّل عليها بمنطقة سرت ، في غضون ذلك ليس من المستبعد أن يحاول الشيخ سوف خلق صعوبات



في ورفلله التي تبدو الآن هادئة ، أو أن يتجه نحو الغرب في محاولة لإثارة مناطق أخرى حيث الرؤساء والمشايخ أقل ثقة وإخلاصاً .

لكل ذلك تبرز ضرورة العمل على اليقظة والسهر بكل عناية حتى بالنسبة لمدينة طرابلس ، حيث شخصيات أخرى تتقاضى مرتبات من الحكومة تعمل من جهتها على إلحاق الضرر بها . حيث انها بعد أن أشعرت بالحركة التي هي قيد الإعداد ، لم تعد ترغب في التبليغ وإعطاء الإخباريات عن أي شيء .

أعاد إلي الرؤساء التابعين لي جميع الرسائل التي أعلنوا – بكل أمانة – عدم إعطائها أية أهمية أو اعتبار . فقط يرجون من الحكومة الحفاظ على سرية قدومهم ومضمونه حيث ان ذلك إذا علم به الأعيان المشكوك فيهم ، وهم : المنتصر ، فرحات ، المريض ، مختار كعبار . وحتى حسونه باشا ، يمكن أن ينتج من ذلك ضرر لهم . وكذلك يجب أن لا يعلم ذلك المترجم حسين القريتلي من المكتب السياسي العسكري الذي يقال عنه أنه يتمتع بشهرة قلة الحفاظ على السرية .

سأبعث إليكم بالرسائل في أول مناسبة . سأبعث من سرت بالعقيد روسو للحاق ببني وليد .

العقيد مياني

نسخة مطابقة للأصل .
رئيس أركان حـــرب
س. فرارى

• • •

هذا هو رجوع عبد النبي بالخير كما توضحه البرقية ، وقد فسر المؤرخون الليبيون قضية الرجوع هذه كل حسب هواه .

رجـوع سوف :

ذكرت آنفاً أن الشيخ سوف المحمودي وصـل إلى أحمد سيف النصر (بالخطوه) ولما رحلت حملة المجاهدين رحل معها الشيخ سوف . وكـان المجاهدون يطارحون (البانده) من الجنوب ويراقبون تحركاتها واتجاهها .

ويقول الشيخ حسن الطبولي :

« كان الشيخ سوف ومعه حوالي اثني عشرة رجلاً يحدثنا عن رحلته إلى تركيا وعن إقامته هناك وعن كيفية تخلصه من مطاردة الانجليز له في مصر وهو يسير معنا . والمجاهدون يلتفون حول جواده وهو يسير . وصادف أن قفزت عنز غزال في وسط المحلة فأحاط بها الرجال من كل جانب وقبضوا عليها وهي قافزة في الهواء ، فأقبل الشيخ سوف وهو مغتبطاً ويهدم (يا اولاد يا زين .. هيه يا ارجال) واعتبرها فألا حسناً وخاطب المجاهدين قائلاً لهم :

« هذه علامة نصر مؤزر وغنيمة باردة وستنتصرون بإذن الله » .

وعند وصول المجاهدين إلى (وادي ازكير) بين (وادي بي) و (تامت) وأثناء غدائهم لحق بهم رجل يحمل رسالة للشيخ سوف » .

ويسرد لنا الشيخ حسن الطبولي الواقعة قائلاً :

« رأينا الرجل لما وصل للشيخ سوف ثم بعد قليل جاءنا الشيخ سوف في خيمتنا وبيده رسالة لم يقرأها علينا وقال لنا : كان بودي الحضور معكم في هذه الموقعة ومع هؤلاء الرجال البواسل ولكن هذا الجواب طلب مني الرجوع ولا بد لي أن أرجع » .

وقال الشيخ حسن :

« لم نسأله من أين الجواب ، وهو لم يقل لنا . وفارقنا سوف وهو يبكي ونحن أيضاً نبكي لفراقه . وذهبنا في توديعه مسافة بعيدة حتى أقسم علينـا بالرجـوع » .

مَن أرسل الجواب ؟

هذا السؤال سألته لنفسي وللمجاهدين الذين التقيت بهم ، ولكنني لم أجد الجواب !.

غير أن مقارنة الأحداث ببعضها . ورجوع عبد النبي بالخير إلى ورفلله . وفي نفس الوقت تقريباً يرجع سوف أيضاً لورفلله ؛ يجعلني أخمّن أن عبد النبي بالخير هو الذي أرسل الرسالة للشيخ سوف يطلب منه الرجوع للغرب لمحاصرة بني وليد . علماً بأن سوف عندما رجع نزل بمحلة (ورفلله) المتواجدة بشميخ .

إذ أن جماعة الغرب لم يعلموا بموقع الشيخ سوف حتى يرسلوا إليه شخصاً يستدعونه . والشخص كان يسير على الأقدام . فلو كان قادماً من غريان أو جهات الغرب لا شك أنه كان يمتطي جواداً أو جملاً على الغالب . أما وهو يسير على أقدامه فلا بد أنه قادم من مناطق قريبة ، وأقربها عبد النبي بالخير الذي رجع من القداحية والمسافة بين (القداحية) و (ازكير) قريبة .

إذاً رجوع عبد النبي كان لمهاجمة بني وليد لا للتملص كما يدعي الشيخ الطاهر الزاوي أو غيره .

قرعاة العبد :

رحلت حملة الطليان من القداحية حيث نزلت بقرعاة العبد ، وهي غدير كبير أقامت عليه ثلاثة أيام . وقد صادفت غنماً لسعد بن مسعود المعداني من قبيلة معدان . يقول ابن أخيه الحاج فرج المعداني الذي التقينا به فوق بئر الهمالية قرب قصر بوهادي : ان الارتريين ذبحوا منها قرابة السبعين شاة . ولكن الحاج جمعة بن سليم الترهوني الذي كان مع الحملة يؤكّد أن العسكر اشتروا قرابة المائة شاة ولم يأخذ الجند شيئاً بالتعسف .

ولقد كان رمضان السويحلي والمبروك المنتصر الترهوني يرسلان فرساناً منهم لاكتشاف الطريق والتنبيه على الناس أن يبتعدوا عن طريق الايطاليين .

وعندما رحلت الحملة عن الغدير يقول الحاج الفرجاني بن عمر العمامي

انه كان مع أحمد سيف النصر . ولما وردوا (قرعاة العبد) بعد رحيل القوات الايطالية وجدوا أربعة نياق محمّلة بالذخيرة . لا يعلم ما إن كان الزعماء العرب في الحملة تركوها لهم قصداً أو انها تخلّفت دون أن يراها سائقوها .

وأنا أرجّح أن العرب تركوها لهم ، لأن لكل بعير سائقه في الحملة وهو مكلّف به ويتقاضى مقابل ذلك ٦ فرنكات يومياً — إذاً لا يعقل أن ينسى بعيره .

شـــاش :

سارت الحملة من قرعاة العبد . وكانت في مسيرها تفزع النجوع التي في طريقها . وكان جلّ الناس يرحلون ويبادرون بالابتعاد حين السماع باقتراب القوات الايطالية لمناطقهم .

وكانت الحملة من الكبر بحيث أنها لم يقفز أمامها أرنباً إلاّ وقبض عليه دون استعمال السلاح لاتساع رقعة الأرض التي تسير عليها الحملة . وهذا ما رواه الحاج الاسطى جمعة بن سليم .

وفي أحد الأودية مرّت الحملة على (ورّاده) لجلب الماء من قبيلة المزاوغه . ولما انحصرت الورّاده داخل الحملة صاحت إحدى النسوة خوفاً فسمعها المبروك المنتصر الترهوني ، فصاح في جماعة ترهونه :

« مزّلتوا اتراجولهم .. للهم يا رجال .. » .

فسمعه رمضان السويحلي فأسرع إليه يهدئه ويفسح أمام (الوراده) لتخرج من الحملة .

فقال المبروك المنتصر ، وهو لا يزال محتدّاً :

« عليّ الطلاق ، نفلقها من هنا » .

ويقصد ضرب الطليان من هنا ولا داعي لتأجيل الموضوع .

واستطاع رمضان السويحلي تهـدئة المبروك المنتصر وأخرجوا النساء بمائهم وحميرهم خارج الحملة وهم يهدئون روعهن ، ومرّت الحادثة بسلام .

وعندما وصلت الحملة إلى (شاش) ، وهي منطقة قبل سرت ، كان هناك (نوادر) من محصول الشعير للمواطنين . يقول الحاج الاسطي جمعة بن سليم ان الارتريين حاولوا إحراق (النوادر) ولكن المبروك المنتصر أمر الجنود العرب بالوقوف على النوادر ومنع الأحباش والطليان من حرقها .

وصادف أن جاء (حبشي ارتري) يحمل وقيداً بيده ليحرق أحد النوادر فنهره الشخص المكلّف بحراسته وهدّده بالسلاح فترك النادر وذهب .

غير أن الحاج فرج المعداني قال انه سمع من عمه انهم أحرقوا (نادرين) .

في سرت :

بعد ٢٨ يوماً من تحرُّك الحملة من بني وليد ومصراته وترهونه والخمس ومسلاته وزليطن ، وصلت إلى قصر سرت يتقدمها العقيد مياني في سيارته الصغيرة السوداء التي تحمل جهاز إرسال .

ودخل الايطاليون القصر . أما بقية الحملة من المجندين العرب فلقد بقيت خارج القصر ونصبت خيامها هناك . وحطت الإبل أحمالها خارج القصر . وامتلأت الأرض بالإبل والخيام والرجال والخيل . وبعض السيارات .

المجاهدون :

وصل أحمد سيف النصر إلى قصر بوهادي حيث خيّم بجماعته حول القصر القديم (وهو محل قصر الضيافة الآن) .

وكان صفي الدين السنوسي والشيخ صالح باشا الاطيوشي بمن معهم من المجاهدين يخيّمون شرقي قصر بوهادي في (قراره) هناك منذ مدة .

ويؤكّد الحاج محمد القذافي ان عبد الجليل سيف النصر ذهب إليهم في وادي (المرباع) في (تامت) وسار بهم حيث باتوا في (أم الجميل) ، وفي الليلة الثانية باتوا في دفع (أم البقر) ، وفي اليوم الثالث وصلوا إلى بوهادي قبل المعركة بحوالي عشرة أيام ..

ولكن جميع الروايات تستبعد حضور عبد الجليل سيف النصر الموقعة ، وربما أوصلهم إلى بو هادي ورجع يجمع المجاهدين مرة أخرى .

الفصل الثالث

الزحف للمعركة

أعطى الايطاليون أوامرهم للجند بالزحف على قصر بوهادي والتحرك من سرت ، وان يحمل الجند معهم مؤونتهم لمدة ثلاثة أيام ، حيث سيصلون إلى قصر بوهادي ويطردون (الغلاقة) !! ثم يعودون إلى سرت بعد هذه الفسحة القصـــيرة .

وكان مسير القوات على النحو التالي :

١ ــ رمضان السويحلي وأهالي مصراته وكروانة الارزاق ، من نـــاحية الغـــرب .

٢ ــ الجنود الايطاليون (القناصة) على يساره ، من ناحية الشرق .

٣ ــ المبروك المنتصر الترهوني والساعدي بن سلطان وترهونه ، في الوسط ومسلاتـــه .

٤ ــ وإلى اليسار من ترهونه الجند الارتريين .

٥ ــ وفي أقصى الشرق محمود عزيز وأهالي زليطن .

ولقد أصرّ محمود عزيز ألاّ يسير تحت إمرة رمضان السويحلي الذي عين (كوليرا) رئيساً على باندت العرب . وقد بارك (العقيد مياني) لمحمود عزيز هذا الاتجاه ؛ وأمر أن يسير في المقدمة مع الارتريين ، الأمر الذي أضرّ بجماعة زليطن عند اشتباك المعركة ، كما أوضحه لي الحاج عطية بن مختار صوصي من زليطن ، كان ضمن الحملة .

ولقد كان محمود عزيز ، ومحمد القاضي ، وأبو بكر النعاس يمثلون جبهة المعارضة لسياسة رمضان السويحلي والمبروك المنتصر الترهوني في الحملة . حتى انهم في الطريق اتهموا رمضان السويحلي بالخيانة واشتكوا فيه للعقيد مياني ، لأنه أطلق سراح مجموعة من المواطنين قبض عليهم « بو بكر النعاس » و « القاضي » و « عزيز » . مما جعل مشادّة كلامية تنشب بين رمضان السويحلي والعقيد مياني كادت تجعل رمضان يرجع من منتصف الطريق . وقد كان الحاج جمعة بن سليم أحد شهودها ، وأخيراً ان مياني خاطب الوالي في طرابلس وأمره الوالي بمساعدة هذا العربي والاعتداد برأيه فيما يخصّ العرب .

رمضان يرسل وفداً :

يحكي المجاهدون أن رمضان السويحلي أرسل إليهم ٢٥ فارساً على رأسهم عمر بودبوس . وكان ذلك في الليل . وجاءوا إلى جماعة أحمد سيف النصر وطلبوا من المجاهدين الابتعاد عن قصر بوهادي ، لأن الطليان غايتهم وصول القصر ، ولا داعي لإراقة الدماء .

غير أن المجاهدين طلبوا منهم في اعتداد إبلاغ الطليان « اننا في انتظارهم ولن نتأخّر قيد أنملة » ، وعاد الوفد ليلاً بدون نتيجة .

ويقول الشيخ الطاهر الزاوي في كتابه (جهاد الأبطال) : « وكانت هذه المكاتبات تجري سراً بين رمضان والمجاهدين في سرت ، لا يعلمها أحد إلاّ الكولونيل مياني» . ولم يذكر الشيخ الطاهر مصادره التي استقى منها أن مياني على علم بالمكاتبات . ويقول الشيخ الطاهر أن الوفد بقي معهم . والواقع ، كما يؤكّده المجاهدون حسن الطبولي ، وجماعة القذاذفة : ان الوفد رجع ليلاً بأكمله إلى رمضان .

سواني بوشناف (٢٨ ابريل ١٩١٥) :

تحرّكت القوات من سرت ، حسب الترتيب المذكور ، ولما وصلت العصر إلى سواني بوشناف أطلقت طلائع المجاهدين عليها النار ، فقتل من الجانب الايطالي (أحمد بن عبد الرحمن) من جماعة ترهونة ، رئيس ربع اولاد مسلم ،

وخلفه سليمان التواتي . كما أطلق (سالم بن شرف الدين) من جماعة زليطن ، عنان فرسه والتحق بالمجاهدين . وقد ظنّه الايطاليون أنه يلاحقهم ليطلق عليهم الرصاص ، ولكنهم شاهدوه يعانقهم وذهب معهم .

وقد ركّب الايطاليون مدافعهم ذلك المساء وأطلقوا منها عدة طلقات ، ثم أمرت القوات بالمبيت على سواني بو شناف .

ويقول الحاج الاسطى جمعة بن سليم :

« جاء السويحلي يقفز به جواده ويسأل عن المـبروك المنتصر ، فأجابه المـبروك :

– إيش بيك يا رمضان ؟

– تكّي الحملة تميح لسواني بوشناف تبات فيهن الليلة . قصر بوهادي ما نجموش نطولوه . قدامنا قندول ، وسدر ، وغتر ، وغـدوه بكرى ناخـذوه » .

قال ذلك ورجع إلى جماعته . وانصـاع الجميع إلى أمره . وتوزّعت الحملة للمبيت .

وعند المغرب استمرّ إطلاق الرصاص من المجاهدين الذين لم يصب منهم أحد ، الأمر الذي أرغم الايطاليين على تجنب إشعال النيران فبات أغلبهم بدون عشاء . وقد تسرّبت مجموعـة من محلة زليطن والتحقت بالمجاهدين . وقال الحاج الفرجاني العمامي انهم خمسة .

صباح المعركة (٢٩ أبريل ١٩١٥) :

يحدّثنا الحاج الاسطى جمعة بن سليم ، قال :

« عند الصباح أقبل ضابط إيطالي برتبة (تينيني) ومعـه جندي إيطالي يحمل كيساً من الأعلام الايطالية الصغيرة . وأمر المجندين أن يفوض كل عشرة منهم شخصاً يسلّمه علماً يرفعه كلّما احتاجت مجموعته الصغيرة إلى شيء أو جرح منها أحد أو قتل » .

وتقدمت القوات الايطالية بعد ذلك منذ الصباح الباكر . وعند بزوغ الشمس ارتفعت على الحجاف المرتفع المقابل لقصر بوهادي من الشمال بين ابيار (الهماليه والقرضابية) ، وهما بئران يفصل بينهما حوالي ٧ كيلومترات .

وعند تحرُّك القوات كان العقيد مياني يركب سيارته الصغيرة السوداء وبجانبه المترجم (السنوسي سفو) من سوكنه ، وطلب من رمضان السويحلي أن يركب معه ، فاعتذر رمضان بحجّة حصانه . ثم طلب من المبروك المنتصر الترهوني أن يركب معه ، فاعتذر هو الآخر . ولكن الشيخ الساعدي بن سلطان ، وكان كهلاً ممتلىء الجسم ، ما أن طلب منه حتى وافق وركب مع (مياني) في سيارته وترك حصانه لأحد أفراد قبيلته . وقد تضايق أقرباء الساعدي من ركوبه هذا ووصفوه بالغباء . ـ وهذا يبين لنا أن الجماعة لم يخبروا الساعدي بالاتفاق لأنه مشهور بعدم كتمان السر رغم وطنيته الصادقة ـ .

المجاهدون :

كان المجاهدون أتباع أحمد سيف النصر ينتشرون بخيامهم جنوب وغرب وشرق قصر بوهادي .

أما أتباع صفي الدين السنوسي فهم شرقي القصر (شرقي وادي تلال) ، وقد كانت طلائع المجاهدين تعلم بتحرُّكات الطليان وهم يناوشونهم منذ مساء الأمس .

ويقول الحاج الفرجاني ابن الحاج عمر العمامي ، وهو ضمن جيش أحمد سيف النصر : بعد صلاة الصبح جلسنا لتناول فطورنا وإعداد الشاي ؛ وإذ بفارس من طلائعنا يمتطي حصاناً أسود قد ابيضّ صدره من العرق وهو يهوي به نحونا ويصيح : « الجهاد يا رسول الله ... العدو ظهر » .

فزحفت قوات أحمد سيف النصر وأرسلوا فارساً لإعلام قوات صفي الدين السنوسي وصالح الأطيوشي .

ترتيب المعركة :

رتّب المجاهدون خيولهم في القلب . وقرّروا أن تهجم الخيل أولاً ؛ ثم تفرّ راجعة نحو المشاة لتجرّ الطليان في خلفها للكمين المعدّ من قبل المشاة ، وحينذاك تفاجأ قوات العدو بنيران المجاهدين الكثيفة ، وحينها يكرّ الفرسان من جديد .

وتقدّمت الخيّالة على هذا النحو ، والمجاهدون يتبعونهم على الأقدام . ولكن الفرسان ، وكانوا قلة ، قوبلوا بنار حامية أطلقتها الرشاشات والمدفعية وبنادق العدو ، التي كان رصاصها كأسراب الجراد . فارتدّ الفرسان باتجاه الغرب بدلاً من الرجوع نحو الخلف حيث أخذ المجاهدون مواقعهم باستثناء ثلاثة فرسان هم : أحمد سيف النصر ، وحميد علي الطبولي ، ورمضان ابن الحاج سالم . وكان الثلاثة على مستوى من الشجاعة رفيع .

وهم الذين يقول فيهم الشاعر الشعبي الذي ينتقد الخيّالة :

وين ناحن المدفع والكور ما هو مشكور

جميع منه داير جادور

فيه غير (احميده) منصور ما هاب الفور

سترنا الله يميته منصور

اشتدت المعركة منذ شروق الشمس . وكانت قوات أحمد سيف النصر وحدها التي تكابد المعركة . وكان الضغط قوياً على المجاهدين ، حتى ان الارتريين كادوا ينجحون في تطويق ميمنة المجاهدين . إذ حدّثني المجاهد محمد المحشن الطبولي ، الذي كسرت رجله في أول المعركة : « لم أستطع التحرك من مكاني وكان رصاص الايطاليين يأتينا من الشمال ، وبعد حوالي ساعة أصبح يأتينا أيضاً من جهة الشرق » .

وفي هذه الأثناء وصلت قوات المجاهدين صفي الدين السنوسي وصالح الأطيوشي ، واستطاعوا الدفع بالارتريين للخلف . وتعزّزت ميمنة أحمد سيف النصر .

وفي هذه الأثناء رفع الايطاليون رايتهم ليتقدموا للأمام . وشاهدها المجاهدون فتصايحـوا :

ـ لقد أخذ الطليان راية السيد صفي الدين .

إذ ظنّ المجاهدون أن الراية لصفي الدين . وتدافع المجاهدون نحو العَلم وكثر القتل من الطرفين . حتى أصبح هدف المعركة الفوز بالعَلم .

وانقضّ ثلاثة من فرسان المجاهدين كالعقبان على العلم واختطفه أحمد سيف النصر بعد أن قتل المدافعين عنـه وجرح هو في (قصعة السرج) ، ولم يخبر أحداً بجرحه ، ولم يعتزل المعركة . وقد شاهد المجاهدون الدم وهو يجري مع ركابه .

وقد كان رفيقا الهجوم : حميد بن علي الطبولي ، ورمضان بن الحاج سالم ، واستمرّت المعركة في ضراوتها تحصـد الأرواح من الطرفين . وصبر المجاهدون صبر من يرجو لقاء ربه وهو راض عنه ، وشهدت شجيرات الرتم والسدر تصارعاً بالأيدي والسكاكين والسيوف والرصاص .

وعند منتصف النهار تزحزح الجيش اللجب من مواقعـه للخلف وبدأ في التقهقر .

انقلاب العرب على الايطاليين :

يؤكّد الحاج جمعـة بن سليم الترهوني ، وهو ممن كانوا مع الحملة ، وكذلك الحاج المبروك الفرجاني ، وهو من جماعة مصراته مع الحملة ، وبعض الأشخاص الآخرين : ان العرب الذين كانوا بمعية الايطاليين انقلبوا على الطليان بعد منتصف النهار فرجحت كفة المجاهدين .

ويقول الحاج المبروك الفرجاني :

« أرسل القائد الايطالي سيارة كبيرة لرمضـان السويحلي قرب منتصف النهار يستدعيه . وترك رمضان جواده عند شخص يدعى (الحداد) ، ولمـا وصل رمضان للقائد ـ يقصد مياني ـ نهره هذا الأخير وقال له : « ان ثلاثة (دافزيونات) ـ أي فرق ـ أرترية قد أبيدت وجماعتك لم يضربوا » .

فأجاب رمضان : « انك لم تعطني الأوامر » .

فقال مياني : « ها قد أعطيتك الأمر فارسل إلى جماعتك تأمرهم بإطلاق النــار » .

فقال رمضان: « انهم لا يطلقون النار ما لم أكن معهم وما لم يتغنّوا بأغاني الحرب (المهاجاه) » .

فقال مياني : « إذهب إليهم » .

ويستمر الحاج المبروك في سرد الواقعة ، قائلا :

« جاءنا رمضــان يمشي مسرعاً في مشيــة هي أقرب للجري وقال : « يا حداد .. هات لحصان » .. وصاح فينا قائلاً : « اضربوا » .

فردّ أحد الناس في الحملة :

« نضرب خوتنا المسلمين ؟! » .

فقال رمضان :

« وين تبوا تضربوا اضربوا » .

أما الحاج جمعة بن سليم فقد قال :

قال رمضان لأصحابه :

« خوتكم المسلمين منصورين ، واضربوا يا كلاب » .

وقد اتفق الحاج جمعة مع الحاج المبروك في تفاصيل بقية القصة .

وهنا انطلق (محمد النتير العامري) على جواده من محلة رمضــان ماراً بترهونه ومسلاته وهو يصيح : « الجهاد يا رسول الله ، يا مسلمين الله الجهاد » .

ونشبت المعركة في داخل الجيش الايطالي وتساقط العشرات ، وقــد كانت الفرقة الايطالية (القناصة) بين ترهونه ومصراته ، فأثخنوهــا بالجراح وتساقط منها الكثير .

وأثناء الاشتباك مرّ (العقيد مياني) بسيارته بمحلة ترهونه هارباً وبداخلها الحاج الساعدي بن سلطان ، فصاح فيه (الهمالي بن شليف) :

– انزل من الكرهية .. انزل .

فقال الحاج الساعدي :

– علاش بنمشي انا ؟

أجابه الهمالي وهو يجذبه من يده :

– ها هي فرسي دونك اركبها .

فنزل الحاج الساعدي ، وكان يقود حصانه (الزابطي تامر) من ترهونه ، فجاء الحاج تامر وأعطى للساعدي حصانه .

وفرّ مياني وهو جريح ومعه الترجمان السوكني (السنوسي سفو) .

واختلط الجيش وماج وانفرط عقد نظامه ، وفرّ معظمه باتجاه القصر . وكان الأحباش يطلقون النار على الوراء وهم فارّين ، وتسابق الطليان على قصر سرت .

ورجع غالبية الناس الذين لا علم لهم بالاتفاق . فانقسمت القبيلة وانقسمت العائلة ؛ إذ نجد الحاج الساعدي بن سلطان بقي مع المجاهدين ، ونجد أخاه حسونه بن سلطان يرجع مع الطليان .

ولم يبق من ترهونة مثلاً مع المجاهدين إلاّ (٧٣٠) رجلاً ، وكان مجموعها (١٣٠٠) رجلٍ .

الطيور البيضـــاء :

يؤكّد جميع المجاهدين الذين التقيت بهم ، ممن حضروا القرضابيـــة : الحاج حسن الطبولي ، محمد المحشن الطبولي ، محمد بومنيار القذافي وغيرهم ، أن طيوراً بيضاء عيونها وأرجلها صفراء ، كانت ترفرف طيلة المعركة على المجاهدين وتمرّ أمامهم وتكاد تلامسهم .

كما يشهد الحاج جمعة بن سليم الترهوني انه شاهد هذه الطيور ترفرف علينا لما انقلبنا على الطليان .

أما الحاج محمد بومنيار القذافي فيقول : « إلى جانب الطيور شاهد عشرة رجال يلبسون ملابس بيضاء ويتصايحون وهم يحملون راية خضراء . وما إن وصلوا حتى انكسر الطليان » .

ويستطرد الحاج بومنيار قائلاً : « لقد شاهدهم معي أربعة أو خمسة أشخاص من المجاهدين ، لم يبق منهم على قيد الحياة أحد سواي » .

وأمام هذا لا يستطيع الانسان أن يقول إلاّ (إن لله رجالا) .

بقايا المعركة :

غنم المجاهدون جميع إبل الكروانة بأحمالها ، وأحرقوا ثلاث سيارات كبيرة . وغنموا ١١ قطعة مدفع ، ومئات البنادق .

وقد كانت إبل الكروانة يقودها أهالي مصراته ، فاستاقها رمضان السويحلي معه ، بما عليها . وقد حاول المجاهدون اقتسامها ولكن أحمد سيف النصر ، وصفي الدين السنوسي ، أمرا المجاهدين بالكفّ عن هذا الطلب ، وقال المجاهد حسن الطبولي : قالا لهم : « إن هؤلاء كالمؤلفة قلوبهم لا بأس أن يأخذوا الغنائم فلا يمكن مشاحنتهم عليها » .

واتجهت فرسان مصراتة بقيادة رمضان السويحلي إلى مصراته لحصارها .

أما مقاتلو ترهونه فبقوا بقصر بوهادي حوالي (١٥) خمسة عشر يوماً اتجهوا بعدها بقيادة المبروك المنتصر والساعدي بن سلطان ، حيث حاصروا ترهونه .

أما أهالي ورفلله ، والذين هم مع المجاهدين ومع الفرق الوطنية ، فتجمّعوا ورجعوا إلى شميخ ، حيث وجدوا الشيخ سوف المحمودي هناك وخرج لهم عبد النبي بالخير ، حيث حاصروا معاً بني وليد قرابة الخمسين يوماً ثم فتحوها .

أما صفي الدين وأحمد سيف النصر وجندهم فبقوا هناك حوالي الشهر ثم زحفوا على سرت ، حيث أجلوا عنها الطليان وعيّنوا عليها شخص يدعى (بن شفيع) وتوجّهوا إلى بني وليد .

الفصل الرابع

حصاد المعركة

رجع المجاهدون إلى القصر (قصر بوهادي) ، وفي اليوم الثاني سمعوا إطلاق الرصاص بكثافة ، فظنوا أن الطليان ينوون الخروج فاستعدوا لملاقاتهم . ولكن الأمر انجلى عندما أقبل رجل يعدو عارياً من الملابس كما ولدته أمه ، فسقط بين المجاهدين في إحدى الخيام ، فستروه ، ثم سألوه فأخبرهم أن الطليان أطلقوا على العرب الراجعين معهم الرصاص وقتلوا مجموعات كبيرة ، ونجا هو لأنه دخل البحر وهرب سباحة .

وهذه القصة رواها الحاج جمعة بن سليم .

أما الحاج عطيه الصوصي من زليطن ، وكان من الراجعين ، قال :

« ما إن وصل بعض الوجهاء العرب الذين تراجعوا مع القوات الايطالية إلى قصر سرت ، حتى وجدوا الجنود الحانقين في انتظارهم ، فأطلقوا عليهم النار وقتلوهم جميعاً ، باستثناء محمود عزيز الذي يثقون به .

أما الجنود العرب فلقد سلّموا بنادقهم وأدخلوهم إلى حظيرة من الأسلاك الشائكة ، وتركوهم بدون ماء وبدون طعام طيلة النهار ، وعند المغرب اصطفّ الجنود أمامهم وأطلقوا عليهم النار المكثّفة ، فتساقط معظمهم قتلى ، وسعيد الحظ هو الذي تساقطت فوقه الجثث ومنعت وصول الرصاص إليه .

وبقينا بهذه الحالة حتى الصباح بين دماء القتلى وثقلهم ، وأنين الجرحى وتضجرهم ، وخوف الأحياء من المصير المرتقب في الصباح وأملهم الضعيف في النجاة .

وعند الصبــاح كانوا يأمرون عشرة من العرب بحفر عشرة قبور ليدفنوا عشرة قتلى . وبعد دفنهم يطلق الجنود النار على الأحياء فيقتلونهم ويجعلون على الجمل اثنين من القتلى يسوقه اثنان من الأحياء . وعندما يبلغون شاطىء البحر يدفن الأحياء الأموات ، ويقتل الجنود الأحياء . واستمرّ هــذا الحال حتى منتصف النهار ، وقد عرف الجنود العرب أن الأحياء الذين يذهبون منهم يقتلون إذا لم يعد أحد منهم . إلى أن جاء الأمر من طرابلس بالكف عن تقتيل العرب والاكتفاء بالنفي » .

ويقول عمران المسلاتي أنه أول مجموعة حية رجعت بدون قتل . وقد عثرنا على بعض البرقيات المتبادلة ، فيما يلي نصها :

وزارة المستعمرات
ديوان الــوزير
برقية في طريق الوصول
فــك الشفــرة
١ ـ ٥ ـ ١٩١٥
أولوية مطلقة
١٨٥٨

مكتب الشفرة والبرق
ف ـ س V.S.
من طرابلس ـ رقم ٣٨
الإبراق الساعة ١٧،٢٥ من يوم ٣٠ ـ ٤ ـ ١٩١٥
وزارة المستعمرات ـ رومـا

سري جــداً : إلحاقاً إلى برقيتي ١٨٤٢ العقيد مياني يبلغ ان إجمالي الخسائر المتكبّدة في معركة الأمس هي :

- ضباط موتى أو مفقودون (١٨) ثمانية عشر ضابطاً جرحى (٢٥) خمسة وعشرون .
- رجال بيض (ايطاليون) موتى أو مفقودون (٢٥٢) مائتان واثنان وخمسون ـ جرحى (١٤١) مائة وواحد وأربعون .
- وطنيون موتى (٢٣٤) مائتان وأربعة وثلاثون ـ جرحى (٢٩٦) مائتان وستة وتسعون .
- عدد ١١ قطعة مدفعية ـ ٣ رشاشات ـ ٤ سيارات مفقودة .

الوالي تاسوني

قائمة بأسماء الضبــاط الموتى ، المفقودين ، والجرحى في معركة قصر بو هادي :

المــوتى

الرتبة	الاسم
الرائد	ماوسيير لويجي
النقيب	ريبيكتي إيتوري
النقيب	جاكميللي أوغوستو
المقدم	برزيو بيرولي شيزري
النقيب	منتاري فيديريكو شيزري
ملازم ثاني	ماتيي أرستيدى
ملازم أول	ديلابونا رودولفو
ملازم ثاني	فونتيوني أميليو
ملازم	سبانيي جيوفاني
ملازم طبيب	غرغوريو جيوفاني
ملازم	غرلاندى باولو
نقيب	مائسترى بيرى دانتي
نقيب	ألبرغاتي كارلو
ملازم	دني سيموني سلفيو

المفقــودون

الرتبة	الاسم
النقيب	شيفاردي دينو
الملازم	بونزابان مارتينو لويجي
الملازم	ابيبللي أتيليو
النقيب	لنزارا ادواردو
النقيب	دني كنشلييس

الجـــرحى

ملازم أول	فرناري فويدو
ملازم ثاني	غوارنييري جيوفاني
ملازم ثاني	ماستيراتي لويجي
نقيب	الفيسي ماريو
ملازم ثاني	دى روكو أنطونيو
نقيب	بالا جيوسيبي
نقيب	روسوني أكيللي
ملازم ثاني	برتي أنريكو
ملازم ثاني	أورتنزي كوينتيللو
مقدم	غالينا غوسكاردو
نقيب	لفيولا بندتو
نقيب	بولاتي فيتوريو
رائد	تستفوكي دتيزنري
نقيب	روبرتي روبرتو
نقيب	جيورجيني أيوجينيو
ملازم	كابوني رينزو
ملازم	مربوغو ريناتو
ملازم	بشيوتا اينيازو
ملازم	ماسينيتي رموالدو
العقيد	مياني انطونيو
النقيب	مسترو شينكوى ادواردو
نقيب طبيب	أرلاندو فنشنزو

موتى أو مفقودون

ملازم اول	دينارو دبيجو

وحول إجراءات (مياني) العشوائية في قتل المواطنين دون استثناء توضح ذلك هذه البرقية ، وهي مرسلة من الوالي إلى وزارة المستعمرات بتاريخ ٤ – ٥ – ١٩١٥ :

وزارة المستعمرات
مكتب الوزير
برقية واردة من طرابلس
٤ – ٥ – ١٩١٥

مكتب الشفرة والبرق
٩١
رقم ٧٠
الإبراق الساعة ٢١،٥٠

أسبقية مطلقة

وزارة المستعمرات – روما

سري جداً : العقيد مياني أبلغني بموجب البرقية ١٦٩ تاريخ ٢ مايو ما يلي :

« وفقاً للفصل الرابع من قانون العقوبات استدعيت المحكمة العسكرية الغير اعتيادية لمحاكمة رؤساء ونواب رؤساء وأنفار الفرق المذنبين بالخيانة في المعركة والمتهمين بأدلة خطيرة » ، عقب ذلك أرسل إليّ البرقية التالية :

« سرت – ٢ مايو – ١٧٠ : إلحاقاً لبرقيتي ١٦٩ أعلم معاليكم نتيجة حكم المحكمة العسكرية الغير اعتيادية عقوبة الإعدام تم تنفيذها في الحال في المذنبين الآتية أسماؤهم :

الحاج محمد القاضي ، رئيس فرقة مسلاته – الهادي أبو بكر النعاس بن محمد ، نائب رئيس فرقة ترهونه – الحاج محمد ابن مسعود ، رئيس فرقة الجفاره – سلطان بن أحمد، نائب رئيس فرقة ترهونه – حسونه بن الحاج محمد بن سلطان ،

نائب رئيس فرقة ترهونه - محمد بن عبد السلام من مسلاته - أحمد بن ربه ، من مصراته - الحاج مرعي بن مرعي ، من ترهونه - إبراهيم بن عمر ، من ترهونه - مختار بن هومه من الجفارة - إبراهيم بن يوسف ، من مصراته - محمد بن موسى ، من مصراته .

روعيت كافة الإجراءات القانونية ، سأبعث بنصّ الحكم في أول بريد .

ميـــاني

ليس لديّ في الوقت الحاضر عناصر كافية للحكم على هذه الإجراءات الخطيرة ، من هنا تبدو لي أنها إجراءات ارتجاليـة اتخذت بدافع الغضب والهياج . وأيضاً غير مطابقة للأحكام المحدّدة بقانون العقوبات العسكري والمراسيم الولائية بالأحكام العرفية وإدارة القضاء العسكري .

ملحوظـة : أنتهز فرصة وجود اللواء دل ماسترو لأفده غـداً بالسفينة الحربية لسرت لإجراء التحقيق المدني . سأبلغ الوزارة بنتائجه على الفور بما في ذلك إجراءاتي أو مقترحاتي المتعلقة به .

أخشى أن يكون من المحتم علـيّ إبعاد العقيد مياني لوجود اعتراض آخر على تواجده بالمستعمرة ، إلاّ إذا كانت هناك إجراءات وتدابير ستتخذ بشأنه عن مسؤوليته المحتملة التي يجري العمل على تحديدها .

الوالي تاسوني

. . .

حتى الايطاليون أنفسهم لم يقتنعوا بإجراءات مياني التعسفية ضد المواطنين بهمجية وصفها المواطن عطية الصوصي كما أسلفنا في حديث الإبادة بسرت .

وهناك برقية أخرى من وزير المستعمرات إلى والي الولاية يوضح له فيها تهاون مياني وان تمرد الفرق الوطنية كان نتيجة حتمية . تقول البرقية :

رقم ٤٧٧

ليبيا — ٨ مايو ١٩١٥

سري — عـاجل

إلى صاحب المعالي والي ولاية طرابلس الغرب

طرابلس

خيانة الفرق الوطنية في معركة قصر بوهادي

يـوم ١٩ أبريـل ١٩١٥م

« انتظاراً لنتائج التحقيق الذي أمرتم بإجرائه ، والذي سيلقي الضوء على مسؤولية الترتيبات العسكرية الخاصة بمعسكر يوم ٢٩ أبريل المنصرم بجهة قصر بوهادي المشؤومة على قواتنا ، أرى لزاماً عـلـيّ مناقشتكم حول بعض الملابسات ، وبعض الاعتبارات التي استخلصتها من المراسلات الأخـيرة لحكومتكم .

بالإضافة إلى ذلك ، وعلى الأخص ، أشير إلى نشرة الأخبار رقم ٩ ليوم ١١ أبريل المنصرم المرسلة إليّ من معاليكم مع قائمة ٣٧١ تحمل نفس التاريخ ، وإلى البرقية رقم ٢ من بئر القداحية المؤرّخة ١٧ أبريل المنصرم الواردة من العقيد مياني المبلغة إليّ من معاليكم مع التقرير رقم ١٧٠٢ ، المؤرّخ من نفس الشهر .

ويتضح من النشرة المذكورة أن حركة التمرُّد ذات صبغة سنوسية محضة وتتسم بطابع هجومي ، ويجري تنظيمها بمنطقة سرت حيث يبدو الشك أيضاً في توجّه الرجال الذين جمعهم المهدي السني من فزان إليها ، وان السنوسي من برقه أمر بهجوم حاسم ضد مدينة سرت ، وان السنوسي ومن يمثله في منطقة سرت يستحثون الثوار للهجوم على سرت ويتفاوضون أيضـاً مع سيف النصر من أجل مساعدتهم ، وان احتلالنا لسرت يشكّل عقبة خطيرة ومصدر قلق للاتصالات السنوسية من برقة إلى شمال طرابلس الغرب ، وان السنوسية تعمل من أجل تنظيم الثوار حيث أصبح من المؤكّد أن السنوسي يهدف إلى ربط الحركة بطرابلس الغرب بالحركة في برقه » .

ونفس الشيء يستفاد من برقية العقيد مياني ، حيث يقول «انه يبدو واضحاً أن السنوسي وأخيه صفي الدين والشيخ سوف والباروني ، أظهروا نواياهم في الاعتماد المباشر على رؤساء المناطق الملتحقين بمعسكر مياني بتوجيه رسائل إليهم يحثونهم فيها على الثورة ويعدونهم بالمساعدات والإغراءات والتهديد ، بل في رسالة من الشيخ سوف وأحمـــد سيف النصر موجّهة إلى عبد النبي بالخير (ورفلله) والشيخ رمضان (مصراته) يبدو صراحـــة رضاهما لعلمهما بأنهما (عبد النبي ورمضان) أخذا السلاح والتحقا بالحكومة لغرض مهاجمتها في الوقت المناسب .

وما يمكن قوله ، كما يبدو من نفس البرقية ، ان العقيد مياني وهو يتجهز ويتهيّأ لمهاجمة قصر بوهادي ، يعلم أن ذلك الموقع هو المقرّ الرئيسي لحكومة السنوسيين المحلية ، وان هؤلاء لديهم القدرة على التأثير على ولاء وإخلاص الفرق الوطنية الملتحقة بحملة مياني .

لذا فإنه من نافلة القول ، لفت انتباه معاليكم إلى ضرورة اتخاذ إجراءات الحيطة والحذر تجاه بعض فقرات من البرقية الواردة من القداحية في ١٧ أبريل هي :

« أرجو من الحكومة أن تستجيب لطلبات إيفاد قوات إلى بني وليـــد . بالإضافة إلى تعزيزات لغريان ومزده حيث أن رسائل السنوسيين كانت موجهة بصفة عامة إلى بقية بلدان طرابلس الغرب سواء الجبلية منها أو الساحلية الغربية. ولا يمكن استبعاد التحركات حتى وإن كانت لا تظهر جاهزة للعمل .

« من كل ذلك تبرز ضرورة اليقظة والسهر بكل عناية حتى فيما يخص مدينة طرابلس حيث هناك شخصيات أخرى تتقاضى مرتباتها من الحكومة تعمل على إلحاق الضرر بها بعدما أعلمت بالحركة التي هي في طريق الإعداد ، ولم تعد ترغب في مدّنا بالمعلومات وتزويدنا بالأخبار » .

مـــارتيني

وهكذا سُحقت القوات الايطاليـة في قصر بوهادي ، وبقي كبار المسؤولين الايطاليين يخمّنون ويحللون ويستنتجون .

وبعد الفورة الأولى لـ (مياني) ، والتي قتل فيها مئات المواطنين ، جاءه الأمر بالكفّ عن القتل . وقبض على أكثر من ١٣٠٠ مواطن من الذين كانوا مع الحملة وشحنوهم في باخرة إلى طرابلس ، ومنها إلى ايطاليا ، للمنفى هناك .

وكان المواطن (عطيه الصوصي) أحد هؤلاء ، وحدّثنا عن الجوع والعري الذي لقوه من الطليان ، ومحاولة مسخهم بأن جمعوا جميع ملابسهم الليبيـة (جرودهم وقمصانهم وفراملهم) وأراد الطليان حرقها واستبدالها لهم بملابس افرنجية . واعتبر الأسرى هذا الأمر تشويهاً لوطنيتهم ، فأضربوا عن الطعام ثلاثة أيام حتى أرجعوا لهم ملابسهم . وكانوا في السجن يسخرون لخدمة العائلات الايطالية في الكنس والتنظيف والغسيل . ومات منهم الكثير من الإهمال وسوء الأحوال الصحية .

وفي عام ١٩١٧ عندما وقّعت الهدنة مع الايطاليين وقّع استبدالهم مقابل الأسرى الايطاليين .

وقد قبض الطليان على مئات من الأعيان ووجهاء الوطن بعد القرضابية مباشرة وأسروهم وساقوهم إلى ايطاليا ضمن المنفيين .



الفصل الخامس

أسباب النصر والنتائج

لا شك أن النصر من عنــد الله يؤتيه لمن يشاء من عباده ، وفي (معركة القرضابية) كان المؤرخون الليبيون يناقشون دائماً أسباب الهزيمة وكأنهم يناقشون معركة حدثت في بقعة ما من العالم لا تربطهم بها أية صلة ، مهمتهم تقييم القائد وأخطائه .

ولكنني أردت تناول أسباب النصر ، لكوني أحـــد أحفاد هؤلاء الذين صنعوا النصر .

وإنني هنا ، في هذه السطور ، ألخص أسباب النصر المؤزر الذي حققه المجاهدون في النقاط التالية :

١ ـــ حنكة ودهاء عبد النبي بالخير ، الذي استطاع أن يستلم من الطليان ألف بندقية لم تساهم معهم في المعركة منها إلاّ مائة بندقية .

٢ ـــ تسرّب السلاح من (ورفالله) إلى المجاهدين الذين تحت رئاسة أحمد سيف النصر ، إذ أن غالبية المجاهدين بدون سلاح .

٣ ـــ شجاعة أحمد سيف النصر وإيمانه القوي في هذه المعركة وفي غيرها من المعارك (يلاحظ ذلك المتتبع لسيرته) . وما هجومه على الراية الايطالية وأسرها إلاّ أحد الأسباب التي قوّت معنويات المجاهدين .

٤ ـــ رجوع سوف المحمودي إلى بني وليد ، الأمر الذي جعل قا ئد الايطاليين (مياني) يشعر بعدم الاطمئنان على خلفيته .

٥ ـــ استبسال المجاهدين ، وعلى رأسهم صالح الاطيوشي وأحمد سيف النصر ، والإيمان القوي بالنصر للجميع ، وخاصة من صفي الدين السنوسي .

٦ ـــ عدم التفاهم بين الفرق الوطنية والارتريين والايطاليين في كتائب مياني والمشاحنات التي كانت تقع بينهم في الطريق .

٧ ـــ الروح الدينية التي تملأ قلوب المواطنين العرب في جيش (مياني) ، وانهم لا يقوون على قتل اخوتهم في الدين . الأمر الذي جعلهم ينقلبون على الطليان (غالبيتهم) بدون أن يتلقى أوامر من أحد .

٨ — شهامة ووطنية المبروك المنتصر الترهوني ، ورمضان السويحلي ، والساعدي ابن سلطان وغيرهم ممن التحقوا بالمجاهدين وآزروهم ، ولو أن الايطاليين يركزون في سبب هزيمتهم على انقلاب الفرق الوطنية عليهم . ولكن هذا من أسلوب الاستهانة بدور المجاهدين ومحاولة لإخفاء هزيمتهم أمام قوة صغيرة أقل منهم عدداً وعدة .

غير انه في لقاءاتي بالمجاهدين ، والمجندين مع الفرق الوطنية ، اتفقوا جميعاً على أن انقلاب الفرق الوطنية كان بعد منتصف النهار بقليل ؛ والمعركة مشتعلة منذ شروق الشمس .

وكان الانقلاب بعد سقوط الراية الايطالية في يد المجاهدين وإبادة ثلاث فرق من الارتريين وتزحزح الطليان من واقعهم للخلف .

إذاً حصر النصر في انقلاب الفرق العربيـة المجندة فقط هو استهانة وغمط لدور المجاهدين واستبسالهم .

وحتى في معركة مرسيـط ، التي وقعت في يوم ٧ أبريل ١٩١٥ ، يعزو الطليان سبب هزيمتهم إلى انقلاب الفرق الوطنية .. وبعد تنقلي ولقاءاتي في مناطق القبلة واتصالي بالمجاهدين الذين حضروها أكدوا لي أن خمسة أو ستة أشخاص فقط هم الذين التحقوا بالمجاهدين . غير أن الطليان يريدون تبرير هزيمتهم .

النتـائـج :

من نتائج معركة القرضابية النقاط التالية :

١ — حصار مصراته ، وترهونه ، وبني وليد ، والاستيلاء عليها : الأولى على يد رمضان السويحلي ؛ والثانية على يد المبروك المنتصر الترهوني ؛ والثالثة على يد عبد النبي بالخير ، وشارك معه في الحصار سوف المحمودي . كما حررت سرت بعد المعركة بشهر .

٢ — إزاحة العدو من مناطق الجبل ، نالوت ، كاباو ، الحرابه ، الرحيبات ، جادو ، الرجبان ، الزنتان ، الريانيه ، يفرن ، غريان . وكذلك مناطق الجفاره ، الجوش ، العزيزية .

٣ — ظهور رمضان السويحلي كقائد لمنطقة مصراته بعد أن كانت عائلة المنتصر تتوارث قيادتها لسنوات عدة .

٤ — نشوب الخلاف بين السويحلي وصفي الدين : ثم بين السويحلي وترهونه على الحدود الادارية بمسلاته . واستمرت الحرب بينهما ستة أشهر ، إلى أن جاء سليمان الباروني وأجرى الصلح بينهما . كما نشب الخلاف أيضاً بين السويحلي وأهالي زليطن ، وانتهى أيضاً بالصلح .

٥ — ظهور حكومة مصراته كأول حكومة وطنية . أرسل لها المجاهدون جميع الأسرى للاحتفاظ بهم باستثناء ترهونه التي احتفظت بأسراها إلى حين التبـــادل .

٦ — تشجيع الترك على العودة واتخاذ ميناء مصراته الميناء الوحيد لتموين حركة الجهاد . ولو أنه حدثت بعض الأخطاء في قضية التموين هذه ، مما اشتكى بعض رؤساء الجهاد من عدم توفير عدالة في التوزيع . وكانت لها نتائج خطيرة في مستقبل الحركة الوطنية .

٧ — ظهور الخلاف بين عبد النبي بالخـــير وصفي الدين السنوسي وأحمد سيف النصر . هذا الخلاف الذي انتهى بالقبض على أحمد التواتي في ورفلله وإعدامه في مصراته . وقد كان لهذا الخلاف أثر في التنافر بين عبد النبي بالخير وعائلة سيف النصر عندما هاجر عبد النبي إلى القبلة بعد عام ١٩٢٣ .

وبغض النظر عن جميع هذه النقاط التي قد يكون لبعضها سلبية ، فإن معركة القرضابية ، بالرغم من أنها لم تكن أكبر المعارك الوطنية ، ولكنها أبعدهم أثراً في حركة الجهاد الوطني ، إذ وحّدت جهاد كل المناطق وانبثقت بعدها (الجمهورية الطرابلسية) أول جمهورية عربية في تاريخ العرب المعاصر .

نتائجها خارج الحدود :

١ — كان لانتصارات المجاهدين في ليبيا أثرها الكبير في إشعال الثورة في الجنوب التونسي ، وكان تسليحهم من اخوانهم الليبيين واشتركوا معهم

في عدة معارك داخل التراب التونسي : أذكر منها (أم اصويغ ، ذهيبه ، قبر صالح ، الرماده) . كما شارك التونسيون في معارك وطنية داخل التراب الليبي : أذكر منها (العجيلات ، الدورانيه ، وكثير من معارك القبله) .

وقد سقط الشهداء من التونسيين والليبيين في مواقع واحدة ولهدف واحد هو طرد الاستعمارين الايطالي والفرنسي .

٢ — هبت الحركة الوطنية في مصر نتيجة لتحرك أحمد الشريف على حدود مصر ومهاجمة الانجليز فيها . وحاول المصريون أن يفجروا ثورتهم ، والتي يطلقون عليها اسم (ثورة عرابي) ، لكن لم يكتب لها النجاح وجاءت كظاهرة كبيرة .

٣ — أفل نجم (العقيد مياني) ، وإلى الأبد ، بعد معركة القرضابية ، وأصبح مواطنوه يتهمونه بالتهور والطيش وعدم بعد النظر والسذاجة في التقدير ، بعد أن كان مفخرة روما عندما وصل إلى فزان في أواخر عام ١٩١٣ .

٤ — نتيجة للحرب العالمية الأولى ، طيرت وسائل الإعلام الانتصارات الليبية وتحدثت عن المعركة في الصحف الالمانية والتركية ، الأمر الذي حطم الحصار الإعلامي على الجهاد الليبي طيلة الأعوام السابقة .

الخاتمة

هذه هي معركة القرضابية ، إحدى معارك الجهاد الوطني الخالد ، قادها أبطال مغاوير يجب أن يبقوا علامات مضيئة في تاريخنا الوطني :

أحمد سيف النصر — صفي الدين السنوسي — صالح الاطيوشي .

لقد تحدّوا القوات الغاشمة دون خوف او وجل ، ورفضوا كل المحاولات لتأجيل المعركة أو تجنُّبهـــا . وهم يعلمون علم اليقين أنه (إذا جاء أجلهم لا يتأخرون ساعة ولا يتقدمون) .

ويجب علينا أن نذكر بكل فخر الموقف المشرّف العظيم للمجاهدين البواسل الذين كان يدفعهم للجهاد حبّ الله والوطن دون رواتب أو ترقيات ، أولئك الجنود المجهولون الذين سقطوا في ساحة المجد يروي دمهم الطاهر تراب الوطن ويسقي شجيراته الكالحة .

إن التاريخ ليذكر بكل فخر المجاهد الكبير محمد بن عبد الله اليوسيفي ، الذي رفض الاستسلام وقاوم الطليان في الجنوب حتى استشهد في قارة المحروقه . وأنصاره الأبرار هم الذين طردوا (مياني) من فزان في أواخر عام ١٩١٤ في معركة القاهرة الشهيرة ، التي كانت البداية للنصر المؤزر عـــلى قوى الشر والعـــدوان .

إن التاريخ لن ينسى المهدي السني ، وسالم بن عبد النبي الزنتاني ، قادة الجهاد في فزان وأبطال طرد الطليان من هناك . وسوف المحمودي الذي حرّك الجهاد من جديد .

كما انه لن ينسى أحمد السني ، بطل معركة مرسيط الشهيرة . وأولئك الرجال الذين خاضوا معارك تكوت ، وكاباو ، والكردون ، والحمراء ، وترهونه ، وبني وليد ، ومصراته . فجميع هذه المعارك كانت سلسلة من الفخار مهّدت لقيام الجمهورية الطرابلسية .

وان الأجيال لا يمكن لها أن تنسى أو تتجاهل الوطنية الصادقة للمواطنين الليبيين الذين جندتهم ايطاليا مرغمين ، فانقلبوا عليها لمشاركة اخوانهم المجاهدين وإخلاصاً لوطنهم ودفاعاً عن دينهم .. وعلى رأس هؤلاء : رمضان السويحلي ، والمبروك المنتصر الترهوني ، والساعدي بن سلطـــان ، وعبد النبي بالخير . واقتحامهم لمعاقل الطليان فيما بعد ، وخوضهم لمعارك مشرفة دفاعاً عن الوطن لدليل صادق على وطنيتهم وإخلاصهم .

إننا عندما نناقش التاريخ ونذكره ، ونتحدث عن سلبيات مضرة في تاريخنا لم يكن القصد منها الإساءة إلى أحد من الناس أو أبنائه أو أحفاده . ولكنها العبرة التي يجب أن نستخلصها من التاريخ ، وكشف مواقع الزلل وتجنبها .

فأيّ شخص يخرج على مستوى الأحداث لم يعد ملكاً لعائلته أو بنيه ، وإنما هو ملك للوطن جميعه . وبالتالي يجب أن نناقشه جميعاً ليس لقرابة الدم أيّ تفضيل أو امتياز .

إن معركة القرضابية كانت معركة وطنية بحق ، تجمع فيها جنباً إلى جنب مجموعات من معظم القبائل الليبية ومن مختلف القرى ، وحتى المـــدن . وان المائة والخمسين شهيداً (١٥٠) الذين سقطوا فوق رمال بوهادي اختارتهم القدرة الالهية لأن يتوزّعوا على القبائل ، لم تحضر قبيلة كثر عدد ممثليها أو قلّ إلاّ وكان منها شهيد أو شهداء .

إنني عندما وقفت على قبورهم أنا وزملائي في القافلة اعترتني قشعريرة من

هيبة هؤلاء الرجال الذين نجهل أسماء معظمهم ، ولكننا في الواقع نحيا في ظلال شجرة الحرية التي غرسوها بأيديهم وسقوها بدمائهم .

إن الذين يستهينون بمقدرات الشعب الليبي وإمكاناته إنهم في الواقع يجهلون تاريخ هذا الشعب ، وجهاد هذا الشعب ، وصبر هذا الشعب .

لقد تتبعت معارك الجهاد الوطني منذ حداثة سني ، في مختلف مناطق الوطن . وكل يوم تزداد في عيني عظَمَة هذا الشعب وبطولاته .

سأحاول ، بإذن الله ، تسليط بعض الأضواء على المعارك الوطنية الهامة في التاريخ الوطني .. وكذلك رؤساء الجهاد والمجاهدين ، وذلك على ضوء ما توفر لديّ من معلومات (وثائق ، أو أقوال مجاهدين ، أو شعر شعبي ، أو مصادر أجنبيـــة) .

ولكون التاريخ هو ملك الجميع ، فأنا أدعو الجميع للكتابة ونشر مـــا بحوزتهم ، حتى تعيش الأجيال القادمة وهي متصلة بتاريخ وطنهـــا وملاحم أجدادها . ولا يحق لهذا الشعب ، بل من العار أن يُغزَى مرتين : مرة بالغزو العسكري الايطالي ؛ والمرة الاخرى بالغزو التاريخي الايطالي . إذ أن الطليان وحدهم الذين كتبوا تاريخ معاركهم في ليبيا من وجهة نظرهم . وإذا لم نسرع بإبراز وجهة نظرنا في وجود بقايا المجاهدين الليبيين على قيد الحياة ، فإن الأجيال القادمة ستعتبر ما كتبه الطليان حقيقة واقعة . وبالتالي تُغزى من الطليان مرة أخـــرى .

إني أودّ أن أشكر قبل نهاية حديثي هذا ، الأخوين : محمد مصطفى عراب ، مدير الشؤون العامة بالمؤسسة العامة للصحافة ؛ وسعيد سلطان ، مدير إدارة البحوث بالمؤسسة العامة للصحافة .. لإقامتهما بترجمة الوثائق الايطالية المتمثلة في البرقيات التي تضمّنها هذا الكتاب .

كما أشكر الأخ عمر الحامدي ، مدير عام المؤسسة العامة للصحافة ،

الأسبق ، الذي بذل كل الإمكانيات لنجاح القافلة الصحفية التي تتبّعت طريق جيش مياني .

وأولاً وأخيراً ، أشكر الله وأحمده على تيسير هـــذا وأرجو منه التوفيق والسداد ،

محمد سعيد القشاط

طرابلس ٩ – ١١ – ١٩٧٧

المصادر

١ – « معجم معارك الجهاد في ليبيا » ، الأستاذ خليفة التليسي .

٢ – إدارة البحوث – المؤسسة العامة للصحافة .

٣ – رواية المجاهدين وأعضاء الفرق الوطنية الذين حضروا القرضابية ، وهؤلاء منهم :

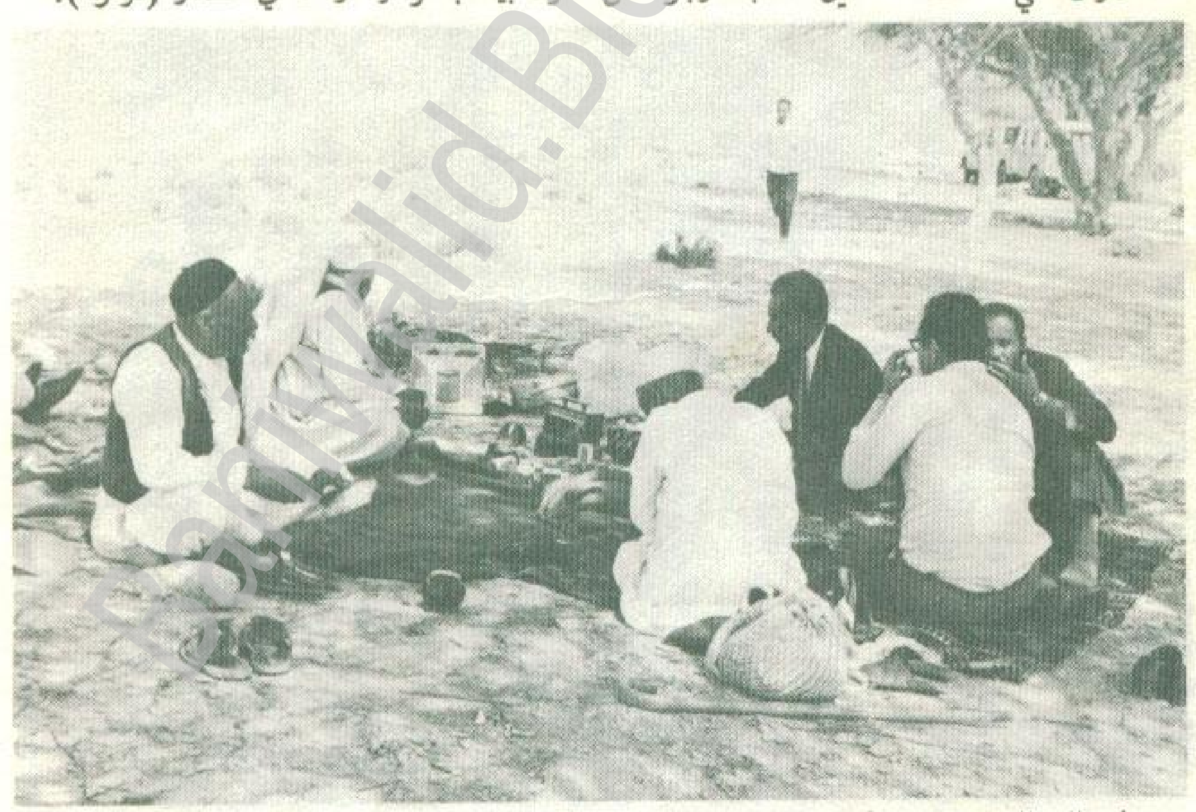
١ – المجاهد الشيخ حسن الطبولي : حضر القرضابية مجاهداً وجرح فيها .
٢ – المجاهد الحاج الفرجاني العمامي .
٣ – المجاهد الحاج محمد بوسنار .
٤ – المجاهد الحاج مصباح القذافي .
٥ – المجاهد الحاج إدريس المليح .
٦ – الحاج الاسطى جمعة سليم : من ترهونة ، انقلب على الطليان .
٧ – المبروك الفرجاني : من مصراته ، انقلب على الطليان .
٨ – الحاج عبد الواحد المسلاتي : من مسلاتة ، انقلب على الطليان .
٩ – الحاج محمد فليفلة : من مسلاتة ، رجع إلى سرت وحمل للمنفى .
١٠ – عطية الصوصي : من زليطن ، رجع إلى سرت وحمل للمنفى .
١١ – الحاج عبد السلام الزائدي : من الخمس .
١٢ – الحاج فرج المعداني ابن أخ سعد بن مسعود المعداني صاحب النجع المتضرر من البانده .
١٣ – الحاج الأزرق : من ورفللة ، مجاهداً .
١٤ – المجاهد محمد المحشن : حضر القرضابية مجاهداً وجرح فيها .
١٥ – الحاج عمران المسلاتي : حضر القرضابية ونفي إلى ايطاليا .
١٦ – ميلاد بن أحمد بن جابر : من زوايد الخمس ، ذهب مع الكروانة ورجع لسرت وكسر في حملة انتقام مياني بسرت .
١٧ – سالم الزوبيك : أحد مجاهدي مصراتة ، وكان نافخ البوق في محلة رمضان فيما بعد .



بداية الانطلاقة للقافلة الصحفية من مدينة طرابلس .



تحت هذه (القندولة) بترهونه شرقي (البويرات) جلس الحاج جمعة بن سليم يستريح بعد جلسته الأولى التي كانت منذ ستين سنة بعد رجوعه من القرضابية مباشرة واشتراكه في حصار (ترهونه).

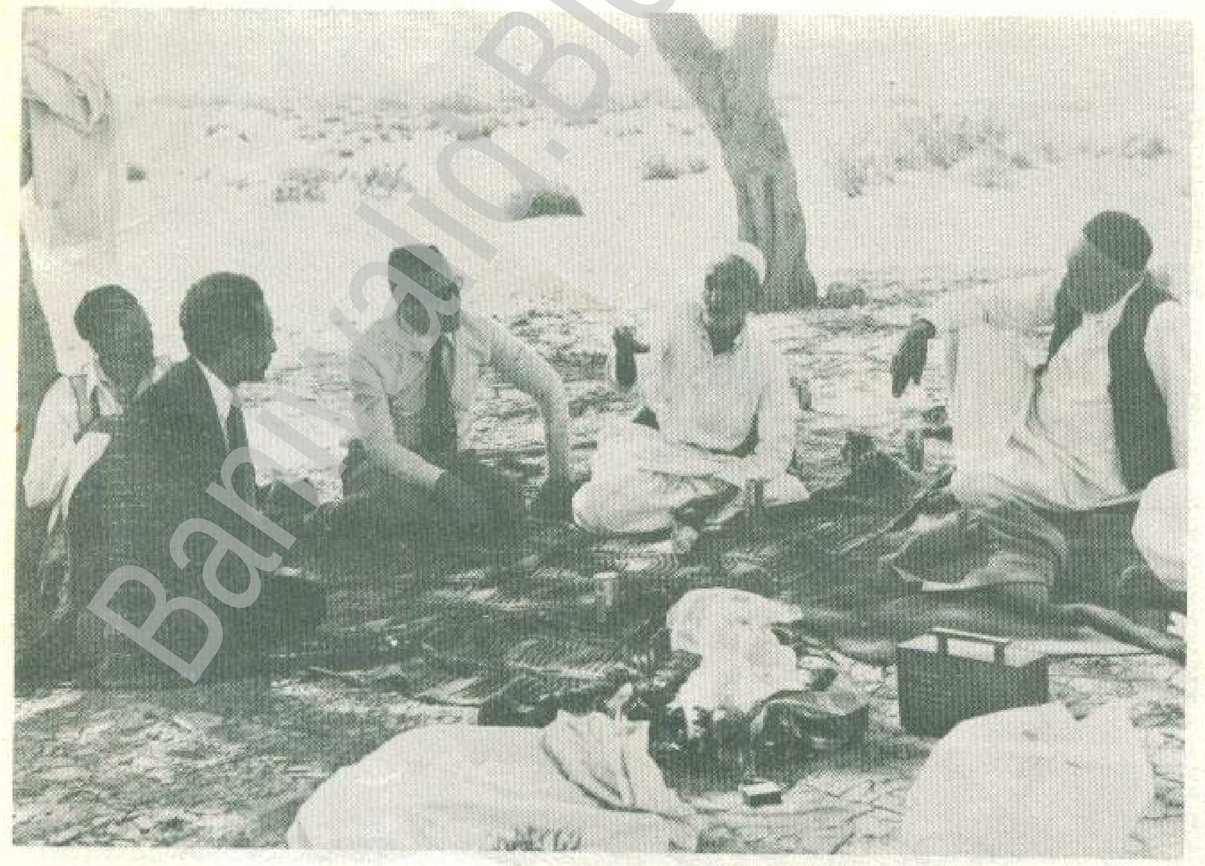


في ظل طلحة بجانب بئر بن عيزار ، جلسنا نستظل ونتغدى في موقع ذلك الجيش اللجب الذي ظن (مياني) أن يهزم به الوطن .





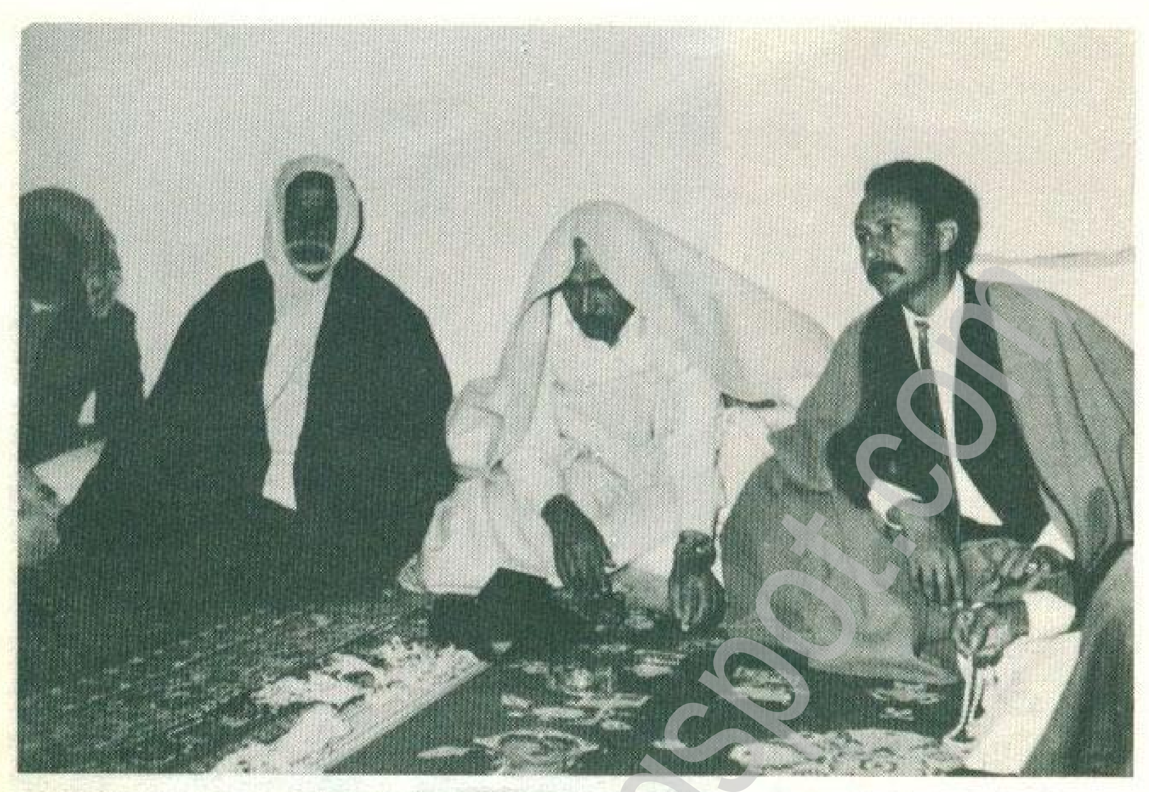
المسلات .



استراحة في ظلال (الطلح) وحكايات الجهاد .



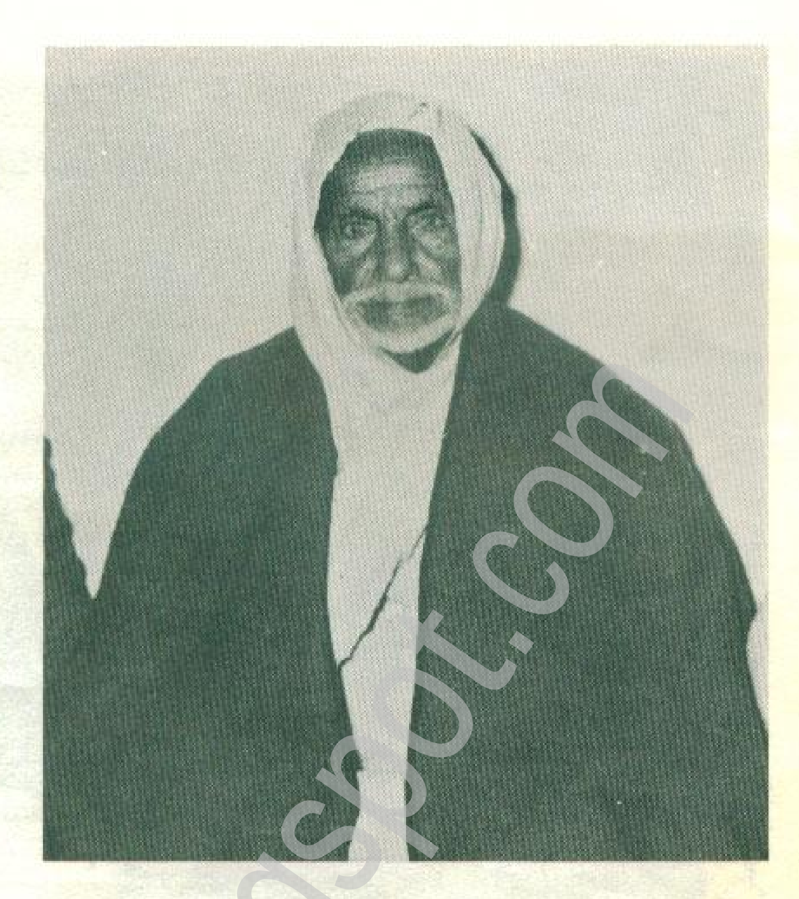
قصر بني وليد .



في قصر بني وليد .



قصر بني وليد حيث تجمع الفرق لتنطلق منه .



المجاهد الهادي الأزرق
من بني وليد ،
هاجر إلى تونس وعاد أخيراً .



في منزل عبد النبي بالخير في بني الوليد ، جلسنا ومعنا مجموعة من المجاهدين حدثونا عن المعركـــة .



استراحة في ظل (طلحة) بجانب بئر بن عيزار .



على بئر بن عيزار .



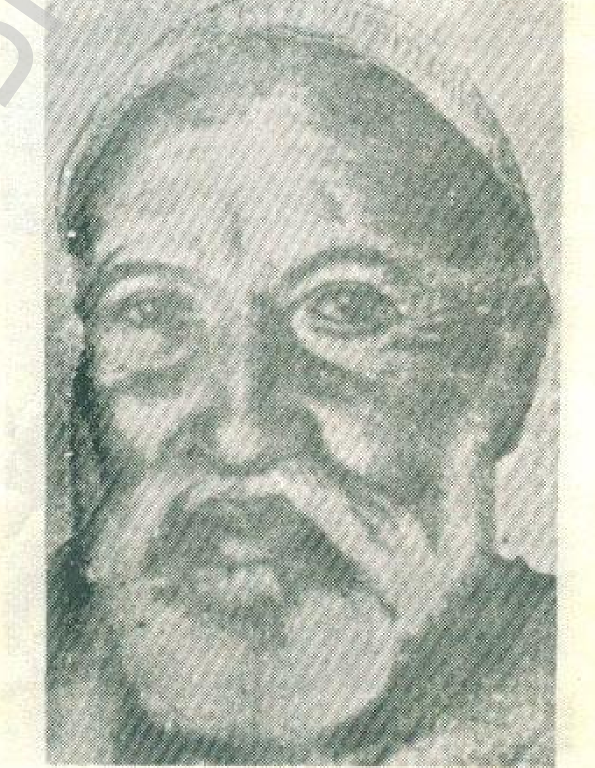
في مدينة (بن تليس)
وقفنا حيث وقفت (الباندة)
والحاج الاسطى جمعة بن سليم يحدثنا عن
الموقف ساعة الانطلاق .



محمد مصطفى ،
أحد سائقي الابل ،
من جماعة (مصراته) ..
سار مع الحملة وشاهد القرضابية .



الحاج عبد السلام
الزائدي من (الخمس)
ذهب مع الحملة وحدثنا عنها .



أحمد سيف النصر ، البطل الحقيقي
لمعركة القرضابية ، وهو
من الذين نذروا أنفسهم للجهاد
ولم يخضعوا لحكم الطليان أبداً .



قلعـــة القداحيـــة